المتعاليات النصية في الرواية العراقية المعاصرة

روايات سنان انطوان أنموذجاً

(أعجام – يامريم – وحدها شجرة الرمان)

اعداد

المدرس / نضال حسن جاتول الخفاجي

المدرس/ مهـــا هـــلال محمد آل أحمادي

المتعاليات النصية في الرواية العراقية المعاصرة

***الملخص*:**

يتناول البحث المتعاليات النصية في نتاجات الروائي العراقي المغترب سنان أنطوان (اعجام – يامريم – وحدها شجرة الرمان) ، حاولت في هذا البحث الوقوف على أهم المتعاليات التي كانت بمثابة أنارات بسيطة لدواخل العملية الروائية ، ومفاتيح للدخول في عالم النص ومعرفة بعض أسراره وخباياه .

تنظير تمهيدي

حظيت المتعاليات النصية بأهمية كبيرة في المقاربات السيميولوجية ، بعدها أهم الأمور التي يجب على القارئ الانتباه لها وبيان تأثرها على النص القرائي . وقد سميت هذه الظاهرة بأسماء عدة منها العتبات النصية ، النص الموازي ، النص المحيط ، المتعالي الفوقي ، هوامش النص .. الخ .

وأول من صير لها نظرية أشير لها بالبنان هو الناقد الهولندي (ليوهوك) ، وقد تناول جيرار جينيت هذا الموضوع في كتابه (عتبات) الذي صدر ١٩٨٧م ، إذ تناول ((بكيفية نسقية ومنظمة ما يدعوه هنري ميتران : هوامش النص ، أي مجموع المعطيات التي تسيج النص وتحميه وتدافع عنه وتميزهُ عن غيره ، وتعين موقعه في جنسه ، تحث القارئ على اقتنائه ، وهي العناوين والمقتبسات والإهداء والأيقونات وأسماء المؤلفين والناشرين .. الخ)) [١] وقد راح الكتاب – في العصر الحديث– والناشرون يتفننون في صياغة عتبات مطبوعاتهم الأولى من عنوانات وإهداءات ومقدمات ، فضلاً عن شكل الغلاف وكلمة النشر ، بل حتى في الرسم التشكيلي الذي يوضع على غلاف الكتاب – وبالتحديد بعد نضج فكرة التداخل الأجناسي بين الفنون المختلفة ومنها بين التشكيل والأدب – وغيرها ما أطلقت عليها المقاربات السيمائية الحديثة (علم العنونة)[٢] ، وقد حظي العنوان بأهمية واسعة إذأن ((له الصدارة ويبرز متميزاً بشكلهِ وحجمهِ ، وهو أول لقاء بين القارئ والنص ، وكأنه نقطة الافتراق حيث صار آخر أعمال الكاتب وأول أعمال القارئ))[٣] .

دخلت العناية بأفق العنونة عصرها الذهبي وبدأت أسئلة لعنوان تستحوذ على حصة كبيرة من أسئلة المتن النصي ، وتؤسس لشعريتها بمعزل عن المتن مرة وبالاندماج به مرة أخرى . وهكذا أصبح للعنونة حقان حق الاستقلالية والتفرد الملكي في احتلال سماء النص ، وحق امتداد أتساعه داخل جسد النص يضئ ظلماته ويأخذ بيد القراءة إلى متاهاتهِ [٤] .

وقد تنبه كتاب القصة على خطورة العنوان في البناء الفني ، فراحوا يتأنقون في صياغتهِ واختياره استجابة لقضايا نُقادهم[٥] ، حتى أنهم أستهلكوا في صياغتهِ واختيارهِ ضعف الوقت الذي أستهلكوه في كتابة قصصهم[٦] . فعملية اختيار عنوان ليس بالعمل اليسير إذ تعد ((لحظة تنوير

تلك التي يكتشف فيها القاص عنواناً لقصته أو روايته ؛ لأنه في الحقيقة يكتشف عالمه القصصي أو الروائي نفسه))[٧] .

إذن يجب لتعامل مع العنوان على أنه ((حاضر في البدء وخلال السرد الذي يدشنهُ ، ويعمل كأداة وصل وتعديل للقراءة))[٨] ، فالعلاقة بين النص والعنوان ((علاقة جدلية إذ بدون النص يكون العنوان وحده عاجزاً عن تكوين محيطه الدلالي ، وبدون العنوان يكون النص بأستمرار عرضة للذوبان في نصوصٍ أخرى)) [٩] ؟

وإلى جانب العنوان تتظافر المتعاليات الأخرى لوحة الغلاف ، الألوان ، الخطوط ، كلمة الناشر ، لتعليقات ، الأهداءات ، المقدمات ، المقتبسات ... الخ كلاً واحداً في عملية تنوير وأكتشاف ماتمَّ تخبئته من قبل القاص في نصهِ قصةً أو روايةً على السواء .

١-أعجـــــام :-

هي الرواية الأولى للروائي سنان أنطوان نتاج لسنة ٢٠٠٣ م . وللدخول في عالم الرواية نجد هناك عتبات كما سماها (جيرار جينيت) أول ما نلاحظه بعدنا متلقين لوحة الغلاف وهو عبارة عن مسودة بخط اليد ، ولعلها المسودة الأصلية بخط المؤلف والروائي حتى وصولها إلى المطبعة باللون الحني الفاتح ، على اليمين رمز أو أشارة وعلى اليسار مربع يحتوي على خطين ، الخانة الأولى وضع فيها اسم الروائي سنن انطوان ، أما الخانة الوسط وضع فيها لفظة (اعجام) ، وهذا لمربع يحتوي الشعار نفسه ثم الى الأسفل يميناً الشعار الأخير برمز يحمل صورة لطائر سمائي والى الأسفل مربع يحوي اسم (منشورات الجمل) الصفحة الأخرى هي تكرار للمعلومات نفسها الواردة لكن بأختصار .

نأتي الى عنونة الرواية (اعجام) والأعجام هو كل شئ مبهم يحتاج على إيضاح ، ولذلك وجدت المعجمات وتخصصت بهذا المجال من اجل توضيح معاني الألفاظ والملابسات التي تقع فيها ، بالنسبة الى رواية سنان انطوان توحيث للوهلة الأولى بأنها مبهمة من الغموض والضبابية،

فيحيل إلى أكثر من تأويل قد يخدم العنونة الرئيسة وقد لايخدمها وهذا ما يتوضح عند الدخول الى عالم الرواية ، وبدءاً سنضع مجالاً لهذه التأويلات فمن المحتمل ان تكون كالآتي :-

١- الأعجام المعنى المضاد له (الوضوح) .

٢- الأعجام المعنى المرادف له (الغموض او الابهام) .

٣- وقد يكون الأعجام هي (الحياة الغامضة أو المصير المبهم أو يطرح الأعجام علامات استفهام بدون أسئلة ولذلك سيكون المتلقي أمام نص مشفر من البداية .

وعندما نتفحص دور الرواية سنجد هناك ما ينبئ عن عنوانتها المعجمية موضحاً آلام الماضي وبرجوازية الفساد الذي يشير بأعدام كل ما يقف في طريقه ((... فقد اصدر القاعد[*] الضرورة مرسوماً يقضي بمصادرة كافة المعاجم والقواميس التي حاول العدو استغلالها لزرع بذور الفتنة . هذا وسيتم احراقها في احتفالات شعبية تعم ارجاء البلد . فليحتفل شعبنا العظيم بأستعادة زمام المعنى الواحد الذي حاولت زمر من الاوباش والغوغاء اغتصابه . كما أمر القاعد وزير الداخلية بتوزيع كافة الكلمات الاساسية ومعانيها الواضحة على كل مواطن ليكون كل منا حارساً للمعنى . واصدر توجيهاته السديدة لوزارة التربية وجعلها مادة أساسية في المراحل المبكرة كما أتم قائمة بأسماء الرئيس القاعد ودلالاتها وقواعد استخدامها . ومنعت اللغات الاجنبية واللهجات المحلية التي تشيع الانفصاليين والمندسين من أعداء الوطن (الا لهجة الرئيس القاعد التي صادق عليها الملحس[*] الوطني لهجة رسمية لما حباها الله به من فصاحة وبهاء) كما اصدر المجلس الوطني الذي تم انتخاله [*] ديمقراطياً قانوناً يقضي بإيقاع عقوبة الاعجام بكل من تسول له نفسه نشر الغموض والابهام او تعاطيها ، والمس بوضوح المعنى الذي ضحى من اجله الشهداء بدمهم الغالي ... ليخسأ الخاسئون))[*] .

وعند الدخول ستلاحظ محطة مهمة ، إذ قيل الدخول في عالم الرواية سنجد أكثر من عتبة الاولى يبدأها بقول لرئيس النظام السابق يقول فيه : ((اكتبوا بلا تخوف ولا تردد أو تقيد لاحتمالات أن تكون الدولة راضية أو غير راضية عما تكتبون))[١٠] .

في الصفحة التي تليها عبارة عن فراغ [١١] ، وهذا الفراغ يجعل القارئ يتساءل لماذا التوقف هنا هل هذا إبهام (أعجام) من نوع آخر أم ماذا ؟ ثم يردفها بعتبة ثانية تحت عنوان إضاءة ولعلها هنا إشعار للقارئ بأن ضوءاً ما قد اوقده الراوي لإنارة روايته المبهمة أو المظلمة مستشهداً بكلام لأبن خلدون من محطات مختلفة هذا مادل به تنصيصه يقول فيه [١٢] : ((وأما الكتابة وما يتبعها من الورقة فهي حافظة عل الانسان حاجته ومفيدة لها عن النسيان ومبلغة ضمائر النفس الى البعيد الغائب)) ، ((هناك حجاب آر بين الخط ورسومه في الكتاب وبين الألفاظ المقولة لأن رسوم الكتابة لها دلالة خاصة على الالفاظ المقولة وما لم نعرف تلك الدلالة تعذرت معرفة العبارة)) ، ((والالفاظ واللغات وسائط وحجب بين الضمائر وروابط وختام على المعاني ، ولابد من اقتناص تلك المعاني في ألفاظها لمعرفة دلالاتها اللغوية عليها وجودة الملكة للناظر فيها والا فيتعاص عليه انتقاؤها)) .

في العتبة الثالثة يذهب الى مادة عجم متفحصاً معناها وآخذاً مصدره هذه المرة من لسان العرب لأبن منظور مادة عجم يقول فيه [١٣] : ((... وأعجمت الكتاب : ذهبت به الى العجمة وقالوا : حروف العجم ... فأن قيل ان جميع الحروف ليس معجماً انما المعجم بعضها ، الا ترى ان الالف والحاء والدال ونحوها ليس معجماً فكيف استجاوز تسمية هذه الحروف حروف العجم ... وسئل ابو العباس عن حروف العجم : لم سميت معجماً ؟ فقال : أما أبو عمر الشيباني فيقول اعجمت أبهمت .. وصلاة النهار عجماء لإخفاء القراءة فيها ... واستعجم الرجل : سكت ... وكذلك استعجمت الدار عن جواب سائلها : قال : امرؤ القيس :

صمّ صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

واعجمت الكتاب خلاف قولك أعربته . وباب معجم أي مقفل)) .

في الصفحة التي تليها والتي تعد بمثابة عتبة رابعة ، يقول فيها [١٤] :-

وزارة الداخلية

مديرية الأمن العامة

٤٣٦٧٥٨ ح

م/ سري وعاجل

الى من يهمه الأمر

تم العثور على المخطوطة أدناه أثناء أجراء الجرد الشامل لكافة الملفات استعداداً للأنتقال الى المجمع الجديد . وبعد الاطلاع عليها اتضحت أنها كتبت بدون نقاط . الرجاء تكليف احد الرفاق بقراءتها وتنقيطها مع طبعها على الآلة الطابعة ، وتزويدنا بنسختين منها بموعد أقصاه الشهر الحالي .

مع الشكر سلفاً .

الملاحظة على ما ورد في العتبا الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، انها تعالج قضية الاعجام من قريب أو بعيد ، فتارة تناقش موضوع الكتابة ، وتارة الالفاظ ، وتارة المعاني ، وتارة التنقيط ، تارة اللفظة من المعجم ، واخيراً القراءة والمخطوطة والتنقيط . ثم تبدأ الرواية المكتوبة من (١٢٦) صفحة دون استخدام الترقيم أو التقسيم الرقمي أو التقسيم الى لوحات .

ثم ملاحظة الغلاف الوجه الآخر للغلاف هو كلمة للراوي نفسه اخذت من الرواية لكن دون اشارة انها للمؤلف [١٥] .

٢- ***يامريـــــــــم*** :-

لوحة غلاف (يامريم) الصورة أو اللوحة التي رسمت على غلاف رواية يامريم هي صورة لا مرأة بلا ملامح وجه خالي ن كل ملمح فهو عبارة عن شكل ليس ألا يحمل لون الرماد ثم الشعر

القصير ، والصورة الأخرى أو الملمح الآخر هو صورة الطفل الذي تحمله المرأة صورة غير مكتملة لان شريط الفز بجائزة البوكر العربية (القائمة) القصيرة (١٠١٣) قد عترضت هذه الصورة للطفل فلم يظهر منه سوى نصف رأس ويد مقطوعة يظهر الكف على صدر المرأة وزنده بين يديها ، والملمح الآخر البارز هو اللون الأسود المحمر الذي لف أجزاء الصورة بما فيها الشعر والثوب الذي ترتديه المرأة ، وبعض جوانب الصورة أما الطفل بما ظهر منه فهو بنفس اللون الذي اصتبغ به وجه المرأة ثم العلامات الأخرى اسم المؤلف يتوسط جبين المرأة والعنوان الرئيسي (يامريم) على بداية الرقبة الرمادية وقد كتب باللون الأحمر الصغير الغامض العريض (الكبير) ودائرة بخطوط متعرجة تتضمن (الطبقة الثانية) ودائرة أخرى على اليمين وعلى الشمال تحمل شعارات أو صور لمطبوعات (ketab) . نهاية الصفحة في الوسط منشورات الجمل تحديد المكان تشير الرواية وتحديد للجنس الأدبي (رواية) الصفحة اللاحقة هي تكرار لأسم الروائي في وسط الصفحة إلى العلى سنان انطوان وفي الوسط بخط عريض اسود يا مريم وغلى الأسفل بقليل تحديد للجنس الأدبي رواية تكرار رمز ketab وتحتها منشوراً الجمل أما الورقة التي تتبعها فهي ترجمة لسنان انطوان تضمنت مؤلفاته الروائية وشعره ومقالاته وكتاباته ثم معلومات عن الرواية اسمها ، سم المؤلف ، القوق .. باللغة العربية والانكليزية .

ابتدأ روايته بقوله [١٦] : ((جاء إلى بيته فما قبله أهل بيته))

أنجيل يوحنا ١١: ١

قسم روايته الى خمس أقسام سماها كالآتي :

١- ان تعيش في الماضي ٧-٣٤

٢- صورة ٣٥-٦٧

٣- أتعيش في الماضي ٦٩-١٠٢

٤- الأم الحزينة ١٠٣-١٤٢

٥- الذبيحة الإلهية ١٤٣-١٥٦

ثم يختمها بملاحظة يقول فيها [١٧] : ((تتقاطع أحداث الرواية مع حادثة الهجوم على كنيسة النجاة في بغداد ٢٠١٠ لكن النص وشخصياته من نسج الخيال وأي تطابق أو تشابه في الأسماء غير مقصود)) . تليه أعمال أخرى للمؤلف [١٨] ، ثم الوجه الآخر للغلاف تحتى عنوان (هذا الكتاب) وشعار ( ) تتضمن نظرة نقدية لرواية يا مريم دون تحديد من هو القائل يقول فيها (رؤيتان متناقضتان لشخصين من عائلة عراقية مسيحية يجمعهما ظرف البلد تحت سقف واحد في بغداد يوسف رجل وحيد في خريف العمر ، يرفض ان يترك البيت الذي بناه ، وعاش فيه نصف قرن ، ليهاجر . يظل متشبث بخيوط الامل وبذكريات ماض سعيد حي في ذكرياته مها شابة عصف العنف الطائفي بحياته ، فشرد عائلتها وفرقها عنهم لتعيش لاجئة في بلدها وتعيش نزيلة في بيت يوسف نتظرة مع زوجها موعد الهجرة عن وطن لاتشعر انه يريدها .. تثير الرواية ا سئلة جريئة وصعبة عن وضع الأقليات في العراق إذ تبحث احدى شخصياتها عن عراق كان ، بينما تحاول الهجرة من عراق الان) وعلى جانب اليسار بخط عمودي ورفيع تحديد لأسم راسم اللوحة (الفريد ويبيكوندو) .

دلالات صورة غلاف رواية (يامريم) :-

بعد التفصيل الذي عملنا من اجله في توضيح صورة الغلاف يجب أن نعي دلالة الشكل واللون من جهة ، والصورة على وجه العموم من جهة أخرى فالصورة لأمرأة شابه هذه المرأة وجهها بدون ملامح وهي بشعر قصير وحاملة في يديها طفلاً هذا الطفل اتخذ لون وجه المرأة الذي كان يميل إلى اللون الرمادي . ثم الألوان التي لفت هذه اللوحة هي البني والأحمر الفاتح والرمادي فاللوحة منذ البدء تشير للقارئ (المشاهد) ، بأن هناك ثمة مأساة لهذه المرأة الشابة وفي الرجوع إلى الرواية وما احتوته من بؤر دلالية ، نجد أن هذه اللوحة هي تجسيد حي وصادق لحالة (مها) الشخصية الرئيسية (الثانية) في الرواية والرواية الثانية ، واللوحة قد حكت حالة (مها) العراقية التي تزوجت من لؤي وحملت طفلها في احشائها على الرغم من كونها طالبة في كلية الطب ، لكنها تعرضت إلى إسقاط جنينها اثر انفجار مروع قريب من دارها ، الأمر الذي لازمها وقد عمل على

إنهاء دورها كأم أولاً ، وزوجة للؤي ثانياً ، وصديقة وقريبة روحياً من الشخصية الرئيسية والراوي الأول (يوسف) . إذ اثر فقدانها لطفلها أثراً بالغاً في نفسيتها ودورها اتجاه نفسها وعائلتها . وفي الرجوع على احد المحطات في الرواية نجد أن هذه اللوحة تجسيداً حياً لأحد الأحلام التي رآها يوسف في منامه في المحطة الرابعة أو القسم الرابع الذي كان بعنوتن (الذبيحة الإلهية) وقد تصدر هذه اللوحة قوله [١٩] : ((هزي جذع هذه اللحظة

تساقط عليك

موتاً سخيـــا))

(مريم العراقية)

((سمعت صوت الماء يدلق كان أحداً ما يستحم لكني كنت وحدي في البيت . مشيت إلى الحمام فسمعت صوت امرأة تدندن أغنية من الأغاني الحديثة التي لا اعرفها . وقفت أمام باب الحمام الذي كان مواربا . عرفت انه صوت مها . استغربت أن تنزل وتستخدم هذا الحمام بدلاً من الذي في الطابق العلوي .. توقفت عن الغناء ونادتني بأسمي : ((يوسف ، تعال افتح الباب لاتستحي . بالله تعالى)) كيف عرفت هي بأني أقف خرج الباب ؟ هل سمعت وقع خطاي ؟ هذه اول مرة تسقط فيها أل (عمو) فتحت الباب فرأيتها تقف ... تحتضن طفلها تهزه بين ذراعيها .. لكنه لم يكن يتحرك وبدا نائماً .. تعال شوف شقد حلو ابني (تعال . قا اعمدو) هل اصيبت بالجنون؟ .. تعمد هذا الطفل الغريب بنفسها في الحمام من أين جاءت أقول لها انه ليس ابنها ستغضب .

بحثت عن منشفة كي اغطيها وحالما دخلت إلـــــى الحمام تزحلقت وسقطت إلى الأرض المبللة))[٢٠] ؛ فالحلم فسر إلى حد كبير لوحة الغلاف ، بل جسدها تجسيداً واقعياً على الرغم من كونه حلماً عل لسان الراوي الأول (يوسف) .

اللوان المستخدمة في اللوحة ، ساهمت بشكل وبآخر في إضفاء ملمح الحزن الذي لف المرأة وابنها خاصة استعمال الأحمر الذي يشير على الأغلب إلى الدم والقتل والحروب واللون الرمادي الذي هو لون شعث اغبر غير مرغوب فيه ؛ لأنه يوحي بالأنتهاء فالنار عندما تأتي على شئ لا

تبقي منه سوى الرماد والرماد هنا دلالة على البقايا التي لافائدة منها ودلالة عن اللون نفسه . وهو اللون الذي لف وجه المرأة فهو بدلالته أعمق على أنه لقوجه الحياة ، فالأم هي الحياة وهي الروح فكيف اذا فقدت طفلها بالتأكيد سيكون هناك موتاً بطيئاً بلا حياة .

وبالنسبة إلى عنوان الرواية (يا مريم) كتبت بالخط الأحمر العريض وهي في وسط رقبة المرأة ولعلها هنا تعكس مدى تعلق الأمر عندها بالسيدة العذراء (ع) فهي وكأنها تناديها وتستغيث بها جراء ما حدث لطفلها . وعند ملاحظة العنوان الرئيس من قبل القارئ فأنه يحيله إلى عدة تأويلات منها :-

١- مناداة للسيدة مريم العذراء (ع) بشكل عام .

٢- مناداة للسيدة مريم العذراء (ع) بشكل خاص من قبل المرأة الموجود في اللوحة .

٣- او انها مناداة من قبل آخر أو آخرين بالقول : يا مريم .

٤- وقد تكون بمثابة الدعاء فيكون تقدير الكلام مثلاً يا مريم احفظيني أو يا مريم ارزقيني يا مريم احميني يا مريم أحفظي طفلي وهكذا يستطيع المتلقي يقول عنوان الرواية بالأتجاه الذي يريده أو يخدمه .

والجملة واضحة وبسيطة إذ أنها تكونت من حرف النداء (يا) والمنادى (مريم) لكن في الرجوع على الرواية نجد هذه العنونة مثالية وواضحة وجلية في موضوع واحد من الرواية في المشهد الأخير في القسم الأخير من الرواية (الذبيحة الألهية) تقول الرواية الثانية (مها) [٢١] :- ((ظل جسد يوسف مسجى على ارض الكنيسة أكثر من اربع ساعات قبل أن يحمل الى الخارج بعد تخليص الرهائن واخلاء الجرحى . كان محاطاً بأشلاء بشرية وبقطع الزجاج المكسور والجص والحصى وببركة صغيرة من الدم الذي ظل ينزفه ... لم تظهر جثة يوسف في الفلم . ولم يشعر بأي ألم عندما انكسرت اصابع يده . فواحدة من الرصاصات الأربع التي كانت قد اخترقت جسده قبل ساعات كانت قد عثرت على قلبه واسكتته . وقبل ان يسكت قلبه كانت شفتاه قد همستا

بصوت خافت (يا مريم) لكنه لم يكمل جملته . ظلت عيناه مفتوحتين حتى وهما يغرقان في ظلام الموت .

٣- ***وحدها شجرة الرمان*** :-

الغلاف عبارة عن صورة فوتوغرافية تتضمن شخصيتين ، رجل كبير في السن في الخمسينات من العمر ، وشاب في العشرينات من العمر ، صورة الرجل مقربة بالقياس إلى صورة الشاب فهي أبعد صورة الاثنين على اقترابها وابتعادها تثير حيرة الرجل وذلك بائناً من خلال صورة الرجل صورة حقيقية لرجل ضعيف بحاجبين وشوارب وشعر كثيف على الصدر وعلى اليد البارزة ، الصورة تظهر الملابس على بساطتها قميص اسود بياخة مفتوحة نظرة الرجل ووضع اليد بالأتكاء عليها مستنجداً بأصابعه الموضوعة على فمه ، وكأنها توحي بأن هناك ندماً وربما ضياعاً وربما كلاماً محبوساً بين شفتيه ويحاول عدم اخراجه أما الشاب فصورته بعيدة وضبابية بعض الشئ ، يجلس على شئ ليس بارزاً أهو كرسي أم منضدة ، حانياً نفسه إلى الأمام وواضعاً يده على خده وكأنما الرأس كله مسند إلى اليد أما اليد الأخرى فموضوعة بشكل ممدود على الرجل الخرى . الملابس التي يرتديها أيضاً تدل على بساطتها بلوزة بيضاء وبنطلون اسود وجوارب بيضاء أو ضبابية بعض الشئ . اسم الروائي سنان انطوان إلى الأعلى مقابل عين الرجل واسم الرواية (وحدها شجرة الرمان) وسط الصورة في النصف تظهر بين الشاب والرجل أما الرموز أو شعارات (الكتاب) فهي إلى اليمين وإلى اليسار .والشعار نفسه الموجود في الروايتين السابقتين (منشورات الجمل) ، مع تحديد للجنس الأدبي (رواية) واسم الروائي في الورقة التي تليها ثم ترجمة له .

يبدأ روايته مستشهداً بقوله تعالى ((فيها فاكهة ونخل ورمان)) مع ذكر اسم السورة (الرحمن) ، ثم يورد حديثاً ((ما من رمانة ألا وفيها حبة من رمان الجنة)) مع إيراد لفظة حديث [٢٢] .

الوجه الآخر للرواية تحت عنوان (هذا الكتاب) هي كلمة للناقد علي الشوك يقول فيها [٢٣]: ((امامي رواية لم اقرأ مثلها منذ سنوات لا على الصعيد العربي ولا على الصعيد العالمي انها رواية مذهلة .. اروع رواية عن المأساة العراقية .. اما معجب بالأفراط بهذا العمل الروائي الآسر.

ولم اتردد في ان ادرجه بين الاعمال الروائية الممتازة التي قرئتها في حياتي .. لغة الرواية تتزاوج بين لغة المثقف ولغة ابن الشعب وهو تزاوج جميل حتى في المفردات الفاحشة التي تبدو جميلة في نص الرواية . انت تجد نفسك بين اهلك حين تقرأ الرواية وتحس ايضاً ان ماتبها مثقف من الطراز الرفيع لكنني لا اريد أن أنسى ثقافة البطل الشعبي في الصميم ... بمزيدمن الحب اعرب عن اعجابي بهذا العمل الروائي العراقي المتألق ..)) .

الغلاف الآخر للرواية ، وهذا الأمر قلَ ما نجده في طبعات الروايات ، أن تطبع الرواية بأكثر من وجه ، وفي هذا الأمر ثمة دلالة تشير إلى أهمية الرواية بالنسبة الى راويها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن الرواية لها أثر بالغ في نفسيته حتى يختار لها أكثر من وجه للتعبير عما يدور في داخله . أو من المحتمل البعيد بالنسبة لي ان تكون محط اهتمام دار النشر ، لكن قد تكون تقنية جديدة من تقنيات النشر الحديثة .

الغلاف عبارة عن لوحة مرسومة لشكل رمانة ، هذه الرمانة قد بان عليها القدم والإنهاك ، وهي متعرضة في جوانب منها إلى التآكل والذبول ، إذ عمل على توظيف لونين فيها هما (الأسود – والأحمر) ، فكانت عبارة عن كتلة مخلوطة بالسواد والأحمرار مع وضوح اللون الأحمر على اليسار منها وتآكلها من اليمين وتعرض زهرتها الى التساقط ، كل هذا يوحي بأن هذه الرمانة ، قد تعرضت لإهمال شديد حتى وصلت إلى هذه الحالة ، مع ملاحظة أن العنونة قد كررت كثيراً بصورة متشابه ، وكأنها محتويات الحبات الموجودة داخل الرمانة .

ثم ان هناك انعتاقاً واضحاً بين العنونة واللوحة ولذلك فالعنونة واضحة منذ الوهلة الأولى للقارئ أو المتلقي ، فهناك حتماً رمانة ولكن ثمة تأويلات يحيل عليها العنوان :-

١- أن الرمانة هي شخص لحالة إنسانية ، لأنها وردت بصورة تشي بأنها كالإنسانة الوحيدة بقوله وحدها شجرة الرمان .

٢- أن شجرة الرمان دون غيرها ، قد شاركت مهمة أو قضية معينة داخل الرواية .

٣- الشئ الوحيد الذي كان إلى جانب البطل الموجود داخل الرواية ، ولذلك حاولت التسمية إيضاح ذلك منذ البدء .

٤- أن شجرة الرمان وحدها هي التي تشبهني .

وفي معالجتنا لدواخل وجدنا حضوراً واضحاً لشجرة الرمان منذ اللحظة الأولى بعد رحلة الغلاف إذ نجد أن هناك :-

١- تنصيصاً قرآنياً كريماً ((فيها فاكهة ونخل ورمان)) ، وحديثاً نبوياً شريفاً ((ما من رمانة ألا وفيها حبة من رمان الجنة))[٢٤] .

٢- وجدنا أن لشجرة الرمان حضوراً هاماً عند المكان الموحش والمخيف عند الراوي (البطل) ى بماء غسل الموتى . جواد ، فوجود هذه الشجرة في ٠المغيسل) الذي كان والد جواد يعمل (مغسلجي) فيه ، إذ كان البطل يذهب مع والده وأخيه (أمير) .. اليه ، فكان كثيراً ما يفكر بحال تلك الشجرة هناك ، إذ وجد أنها تسقى بماء غسل الموتى . فهي على الرغم من أنها زرعت في هذا المكان ، ورغماً عنها تعيش فيه ، ومعه شاربة مياه الموتى وهذه الصورة اقرب ما تكون إلى صورة البطل (جواد) فهو على الرغم من دراسته وأمله في أكمال دراسته والأبداع فيه الا أن الظروف التي مر بها البطل (جواد) حالت دون تحقيق ذلك إذ أصبح أمام أمر واقع بعد وفاة والده واستشهاد أخيه وعدم الحصول على عمل يرتزق منه فأضطر إلى العمل (مغسلجي) في المغيسل ، وأصبح اقرب ما يكون إلى الموت الذي كان طوال عمره يهرب منه ، وأصبح حاله كحال الشجرة التي زرعت رغماً عنها ، ونمت ثمارها عل مياه الغسل للموتى ، فهو أصبح معتاشاً على هذه المياه ، فالصورة واضحة ومطابقة لحالة البطل . فنجد أن احد التأويلات التي عمل تأويلها متلقي الرواية قد ألحت في الوصول إلى الهدف الموجود .

يقول [٢٥] : ((بعد أن أنتهينا من غسل وتكفين طفل في التاسعة من عمره يشبه ملاكاً صغيراً لا تنقصه الا الاجنحة ، وابيه الذي مات معه في انفجار مفخخة قرب المسرح الوطني احسست بضلوعي تطعنني من الداخل وتخنقني مع كل نفس فقلت لمهدي انني سأخرج (يم الرمانة) تعودت

في الاشهر الاخيرة وان اجلس على الكرسي الذي وضعه امامها أحاورها ، فهي اضحت أنيسي الوحيد في هذا العالم . كانزهارها الحمراء قد تفتحت على الاغصان كجراح تتنفس وتنادي كنت ادندن كل ما جلست امامها اغنية سكنتني منذ ان سمعتها على الراديو قبل اسابيع كنت قد غرست دون قصد في كلماتها (شجرة الرمان) بدل من نبعة الريحان : (يا شجرة الرمان ، حني على الولهان جسمي نحل والروح ، ذابت والعظم بان ، من علتي البحشاي ، ما ظل عندي راي .. وما ادري ذنبي شجان ؟ ما عندي كل أذنوب الا هـــوى المحبوب ، لا هو ذنب داتوب ، متصبر الرحمن ، متصبر الرحمن . ياشجرة الرمان حني على الولهان !)

نظرت الى تربتها الغامقة المبللة بماء الغسيل التي كانت قد شربته للتو . عجيبة هذه الشجرة . شربت لاماء الموت منذ عقود لكنها وتظل تورق كل ربيع وتزهر وتثمر . لهذا كان أبي يحبها كثيراً كان يقول ان في كل رمانه حبة من حبات الجنة لكن الجنة ، لا بل الجنات كلها ، دائماً هناك ، في مكان آخر . والجحيم كله هنا ، ويكبر يوم بعد يوم . جذور شجرة الرمان هذه ، مثلي ، هنا في اعماق الجحيم . يا ترى هل تبوح الجذور بكل شئ للأغصان ام انها تخبئ عنها ما يوجع .. لكنها شجرة قدرها ان تكون شجرة وان تكون هنا لكنني اردد انني لا أؤمن بالقدرفلماذا اقول هذا ؟ يجب ان اقول .. تأريخها فالتاريخ هو ما يسميه الناس القدر والتاريخ عشوائي وعنيف يعصف كل ما في طريقه ويقلع ما يقتلعه دون ان ينظر الى الوراء .

النتـــائـج

أن للمتعاليات النصية اهتماماً واسعاً من قبل الدراسات السيمائية الحديثة ، ومن قبل النقاد العرب على وجه الخصوص ؛ وان كان ثمة من يشير لها من قبل الباحثين العرب قديماً ، لكن من دون تحديد المصطلح الذي تُعورف عليه ، وقد أطلق عليها عدة تسميات (هوامش النص، النص الفوقي ، النص السطحي ، عتبات النص ، النص الموازي ، النص المحيط ، ....الخ) ، والمقصود بها كل ما يسيج النص قصةً كان أم روايةً بدءاً من العنوان الرئيس الذي يعنون (النص) مروراً بالعنوان الفرعي أو العنوانين الفرعية التي يندرج تحتها (النص) اضافة الى اسم الجنس ، اسم المؤلف (القاص أو الراوي) ذكراً كان أم انثى ، لوحة الغلاف ، التعليقات ، اسن الناشر ، الايداع ، ... الخ . ومن خلال هذه العوامل متظافرة تصل الى الغاية المنشودة من هذه المتعاليات والوقوف على تسمية النص المدروس بهذه التسمية من دون غيره ، وان كانت ثمة عنوانين فرعية يجب ان نجد الرابط بينهما مسميات النصوص التي تندرج تحتها . ومن خلال ذلك وجدنا ان العنونة التي حفلت بها النتاجات الثلاثة لسنان انطوان لم تأا اعتباطية أو فطرية بل جاءت لغاية معينة اراد الروائي ابراز جزء منها على سطح امكنته الروائية . ولعل الدراسة كفلت ابراز هذا الجانب الذي أولته الدراسات السيمائية الحديثة اهتماماً واسعاً اضافة الى اهتمام الروائي بقضايا النص الموازي مثل اهتمامه بلوحة الغلاف والكتابات والرموز والشعارات والهوامش والترجمات والتعليقات النقدية التي حفلت بها اوجه الغلاف الخلفية اضافة الى امور موازية اخرى قد بيناها في موضعها .

الهـــوامش

١- خطاب الحكاية : ١٤ .

٢- مستويات التحليل الأسلوبي في مقاربة النص السردي : ٢٧ .

٣- الخطيئة والتكفير : ٢٦٣ .

٤- المغامرة الجمالية : ١٣١ .

٥- أشكالية التلقي والتأويل : ٩٦ .

٦- الرواية وصنعة كتابة الكتابة : ٩٧ .

٧- شعرية السرد في شعر أحمد مطر : ٩٣ .

٨- مدخل الى التحليل البيوي للنص : ٢٤ .

٩- الفضاء الروائي في الجازية والدراويش : ١٥ .

*- ينظـــر : اعجـــام : ١٠١ -١٠٢ ويقصـــد بالقاعـــد (القائـــد) ، المحلـــس(المجلـــس) انتخاله(انتخابه) ، الاعجام (الاعدام) .

١٠- أعجام : ٥ .

١١- نفسه : ٦ .

١٢- نفسه: ٧ .

١٣- نفسه : ٧-٨ .

١٤- نفسه : ١٠ .

١٥- ينظر لوحة غلاف رواية أعجام .

١٦- يا مريم : ٥ .

١٧- نفسه : ١٥٨ .

١٨- نفسه : ١٥٩ .

١٩- نفسه : ١٠٤ .

٢٠- نفسه : ٨٩ .

٢١- نفسه : ١٥٥ – ١٦٥ .

٢٢- يا مريم : ٦ .

٢٣- ينظر : وجه غلاف وحدها شجرة الرمان .

٢٤- وحدها شجرة الرمان : ٦ .

٢٥- وحدها شجرة الرمان : ٢٥٣ – ٢٥٤ .

المصادر والمراجع

١- اشكالية التلقي والتأويل – دراسة في الشعر العربي الحديث ، د. سامح الرواشدة ، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .

٢- خطاب الحكاية (بحث في المنهج ، جيـــرار جينيت ، ترجمة محمد معتصم وآخرون ، ط٢ ، المشروع القومي للترجمة ، ٢٠٠٠م .

٣- الخطيئة والتكفير ، عبد الله الغذامي ، منشورات النادي الثقافي ، جدة ، لسعودية ، ط١ ، ١٩٨٥م .

٤- الرواية وصنعة كتابة الرواية – مقالات ادبية مترجمة ، سامي محمد ، الموسوعة الصغيرة (٩٩) ، بغداد ، ١٩٨١م .

٥- شعرية السرد في شعر احمد مطر – دراسة سيمائية جمالية في ديوان لافتات ، د. عبد الكريم السعيدي ، دار السياب للطباعة والنشر (لندن) ، دار اليقضة الفكرية (سوريا) ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

٦- مدخل الى التحليل البنيوي للنصوص ، دليلة مرسلي وآخرون ، دار الحداثة ، ١٩٨٥م .

الدوريات :

١- الفضاء الروائي في الجازية والدراويش لعبد الحميد ابن هدوقة ، دراسة في المبنى والمعنى ، الطاهر روابنية ، المساءلة ، ع١ ، ربيع ١٩٩١ م .

٢- مستويات التحليل السيميائي شرشار عبد القادر ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع ٣٨٢ ، ٢٠٠٣م .

الروايات

١- أعجام ، سنان انطوان ، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد ، ٢٠١٣م .

٢- وحدها شجرة الرمان ، سنان أنطوان ، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد ، ٢٠١٣م .

٣- يا مريم ، سنان أنطوان ، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد ، ٢٠١٣ م .